قضية «الانتماء» .. بين المتغيّرات والثوابت

فاروق جويدة

● وإن كنا نختلف أحياناً في القيام بمسؤولياتنا .. وهذا الذي نسميه الحب .. والمسؤولية .. والدور .. يدخل في إطار أوسع نسميه الانتماء .. وعلى الرغم من أن الكلمة يمكن أن تجمع أوصافا وأسماء كثيرة، فإن هذا الإحساس الذي نسميه الانتماء تجاوز - في أحيان كثيرة - الأوصاف والكلمات والظواهر، وتحول إلى علاقة بين الإنسان ووطنه تشبه تلك العلاقات الأزلية التي صاغتها الديانات السماوية في أعماق البشر .. وتحول الانتماء إلى شكل من أشكال الإيمان الذي تجاوز حدود الأرض والتراب والبشر، ليدخل بنا مناطق أكثر عمقاً وأكثر يقيناً .. ولهذا: لم يكن غريباً أن يضحي الإنسان بأغلى ما يملك وهو الحياة فداء لوطن ينتسب إليه ويحمل اسمه ... في العصور القديمة ارتبطت فكرة الانتماء بالعلاقة بين الإنسان والمكان الذي يوفر له مصادر الحياة، سواء كان ذلك قطعة أرض يزورها المطر، أو شاطئ ماء قبل أن يعرف الناس الأنهار .. وتجسدت هذه العلاقة في المدى الذي تحققه للإنسان من توفير الطعام والماء .. وأمام تطور التجربة الإنسانية بدأت أطماع الإنسان تتسع، فكان الإحساس بالملكية.

وهنا ظهرت القوة التي تحولت إلى وسيلة من الوسائل التي يسعى بها الإنسان لتوفير متطلبات الحياة من الماء والطعام.. فكان الأقوى هو الأقدر على أن يوفر لنفسه كل الاحتياجات حتى ولو كان على حساب أطراف أخرى أضعف لا تملك الحماية.. ومن خلال منطق القوة في الغابة، حيث يأكل الأسد الغنيمة وحوله الضباع تنتظر ما يتبقى منها.. كان موقف القوة هو الذي حكم مسيرة الإنسان منذ أن وضع أقدامه على شاطئ النهر وزرع بعض الأشجار، حتى وصل اليوم إلى أعلى درجات التقدم في الصناعة والتجارة والتكنولوجيا والشركات متعددة الجنسيات..انه الإنسان نفسه في علاقته بالقوة كوسيلة لتحقيق الرخاء، وتوفير مطالب الحياة، وفرض الإرادة، حتى وإن خلع أثواب بدائيته وارتدى الأثواب المزيفة التي يخفي بها سوأته تحت شعار الحضارة والمدنية.. من هنا؛ فإن الانتماء احساس متحضر جاء في أوقات متأخرة، بعد أن شيدت الحضارة منشآتها، وتجاوزت منطق القوة إلى منطق الفكر، وتحولت من صراع بين وسائل وأشياء إلى صراع بين أفكار، وإن كانت هذه الأفكار في حقيقتها تخفي تلك الروح القديمة التي تقوم على المصالح والقوة والأنانية وحب الملكية...ومن فترة لأخرى كانت تلك الأفكار، التي تتخفى في صورة نظريات وبرامج ودعوات للإصلاح، تحركها مطامع الإنسان ورغباته وحساباته.. ومع التقدم الفكري والحضاري والاجتماعي والثقافي بدأ الإنسان يهذب روح المطامع فيه، ويجيد استخدام القوة، خاصة بعد أن أخذت أشكالاً أخرى تبدأ بالثروات وتنتهي بالتفوق الفكري والعقلي والحضاري... من هنا؛ فإن الانتماء مصلحة مشتركة بين وطن أحميه.. وحياة يوفرها للمواطنين فيه، ومهما اختلفت أفكار علماء الاجتماع والتراث الفكري والحضاري الذي جمعه الإنسان عبر عصور طويلة؛ فإن العلاقة بين الإنسان ووطنه هي هذه المشاركة التي ترسبت مع الزمن والحياة، وتحولت إلى شيء أكبر بكثير من مجرد توفير لقمة الخبز.. هناك عصور من التراكم الحضاري التي شكلت مشاعر الانتماء، خاصة في دول الحضارات، وجعلت منها نسيجاً انسانياً اختلط فيه البشر.. بالأرض.. بالتاريخ.. بالجذور، بحيث أصبحت كياناً واحداً نسميه الانتماء.. صحيح أنها بدأت على شاطئ نهر مجرد نخلة وثمار وقطرات ماء.. لكن هذا كله تحول إلى دماء تتدفق في العروق، وفقد كل خواصه الأولى ليصبح شيئاً جديداً...ولهذا؛ فإن الحديث عن الانتماء ينبغي أن يتجاوز حدود المصالح الخاصة، والحسابات الشخصية.. وما نأخذ من الوطن وما يعطي، لأن الوطن في حد ذاته لا يمكن أن يبخل على بعض، ويسرف على البعض الآخر.. وهذا ليس منطق الأوطان، لكنه منطق العصابات التي تستبيح حقوق الآخرين .. ولذلك .. فإن صراع الأفكار هو في حقيقته صراع بين مصالح تهذبت وارتفعت، وحاولت أن تتجرد من مخلفات أزمنة التراجع والبدائية، لتأخذ صورة أكثر شياكة فتصبح فكراً.. وان أخفت في حقيقتها كل الصفات والسمات القديمة لصراع القوة.. وما يحدث على الساحة الدولية الآن لا يختلف كثيراً عن صورة الصراعات القديمة قبل بدء الحضارات.. الخلاف الوحيد، كما قلت، هو أن وسائل القتل أصبحت أكثر تقدماً، وأساليب العلاج أصبحت أكثر اقناعاً، لأنها تخفي مظاهر القوة خلف ستار زائف يسمى لغة الفكر... وقد اتسعت دائرة الأفكار لتتجاوز حدود الوطن الواحد.. وأصبح الفكر لغة لكل البشر، أو بمعنى آخر، أصبح سلعة عالمية، على الرغم من اختلاف اللغات والألوان والملامح.. لكن أخطر ما في هذه المعادلة أن الفكر في كل الحالات كان يعبر عن قوة خفية عندما قام الفكر الرأسمالي واجتاح العالم تجارياً.. ثم صناعياً.. فكان يعبر عن مصالح تسربت في كتابات المفكرين وبرامج المنظرين لتتجاوز حدود الأوطان التي ظهرت فيها.. وان بقيت هذه الأفكار تحمل كل سمات القوة التي عبرت عنها، وهي قوة رأس المال، كوسيلة حديثة من وسائل الصراع.. وبعد حروب وتصفيات بين مراكز قوى كثيرة؛ ظهرت الماركسية وكانت فكراً انسانياً جريئاً يعبر أيضاً عن صراعات مصالح بين طبقات المجتمع، ليس على مستوى الوطن الواحد فحسب، ولكن على مستوى الإنسانية كلها.. لم تكن الماركسية دعوة مفكر في وطن ظهر فيه، لكنها تحولت إلى فكرة إنسانية تحمل كل جوانب الصراع وتجسدها...والغريب أن كل الأفكار العظيمة في تاريخ البشر لم تحقق بقوة الفكر واقتناعه، لكنها تحققت بالقوة المجردة.. قوة القرار والسلطة.. وقوة السلاح.. وقوة الحروب.. وقوة الثورات.. فلولا قيام الثورة البلشفية في روسيا؛ ما عرفت أفكار ماركس طريقها إلى العالم.. ولولا صعود القوة الرأسمالية الغربية واحتلالها دول العالم؛ ما كانت الرأسمالية الحديثة ممثلة في أكبر رموزها الآن، وهي الولايات المتحدة الأمريكية.. ومع اتساع دائرة الفكر الإنساني؛ تخلى الإنسان عن الكثير من خصوصياته وثوابته، ووجد مبرراً مقنعا لأن يكون الانتماء الإنساني أوسع وأشمل من الانتماء للوطن.. وفي هذه المنطقة بالذات بدأت رحلة التجاوزات، وبدأت معها رحلة الشك وعدم اليقين في احساس قديم يسمى الانتماء.. هنا وجدنا في عصرنا الحديث أن الانتماء للفكرة سبق كل شيء، بما في ذلك تلك المصالح الضيقة التي ترتبط بما يسمى "الوطن" .. وكان من السهل جدا أن يذوب الجزء في الكل، بمعنى أن يصبح الوطن الصغير صدى للوطن الأكبر.. أو بمعنى آخر أن يصير جزءاً من فكره بعد أن كان هو، في حد ذاته، أكبر من كل الأفكار... ومع ظهور هذه الموجات من تجارة الأفكار الكونية، أخذت التيارات الفكرية مواقعها بين شعوب العالم، وكان الخطأ الرئيسي أن بعض هذه التيارات وصل إلى درجة من التأثير أصبح فيها الانتماء للفكر أكبر من الانتماء للوطن.. ظهرت أحزاب شيوعية في دول العالم؛ كانت ترى أن انتماءها الحقيقي يصب في مبادئ ماركس وستالين، على الرغم من أن الأرض غير الأرض، والوطن غير الوطن.. وظهرت أفكار تدين بالرأسمالية، رغم الفارق في التجارب والجذور، يتجسد في عقود طويلة من الزمن، وتجارب تختلف تماماً في صورها وأشكالها...ثم أخيراً.. التطور التكنولوجي الذي اجتاح العالم في السنوات الأخيرة، وأخذ معه كل ما تبقى من أفكار العالم القديم، ووجدنا أنفسنا أمام واقع جديد، هو فكر التكنولوجيا، وهو يختلف تماماً في أساليبه ومصادره وقدراته عن كل مصادر القوة التقليدية.. وكان الانتماء بمعناه الحقيقي، التاريخي والإنساني، أول ضحايا الثورات الفكرية التي انتقلت بالإنسان من فكر الرأسمالية.. إلى فكر الشيوعية.. إلى فكر التكنولوجيا.. وبين المراحل الثلاث؛ غابت فكرة الانتماء بمعناها التقليدي كعلاقة بين الإنسان وأرضه وجذوره وتاريخه وثوابته...

مؤازرة القيادة .. أم مزيداً من الضجيج الإعلامي؟

طارش قحطان

●من يطالع صحافتنا الأهلية والحزبية ويستعرض محتوياتها، وعلى وجه الخصوص الكتابات التي تتناول الشأن الداخلي يجد أن أغلب محتوياتها لاتهدف إلا إلى إنتاج أكبر قدر من الضجيج الإعلامي الذي يوصل القارئ إلى لاشيء .. فهي أشبه بمن يطلق النار من بندقيته في كل الاتجاهات وبصورة عشوائية لايهمه من يصاب جراء ذلك التصرف ولا من سيكون الضحية.

هذا هو الانطباع الذي يستخلصه القارئ، وهو يتابع ماتنشره بعض الصحف وما تسطره بعض الأقلام التي بينها وبين الواقعية والصدق قطيعة وعداء مزمن عند تناولها لأي ظاهرة من الظواهر المتصلة بالشأن العام، ومن ذلك حديثها عن الفساد الذي يتخذ في الغالب مدخلاً للنيل من كل شيء.

لاخلاف أن الفساد وقصور أداء بعض الأجهزة وإخلال كثيرين من المسؤولين بواجباتهم هو محل استنكارنا جميعاً وقضية لايمكن مهادنتها أو مهادنة ممارسات تلك الحفنة القليلة التي فرضت مساراتها واستغلت موقعها ووضعت مصالحها فوق مصلحة الوطن والشعب ولا خلاف بأن تلك النوعيات لايجدر بأحد الدفاع عنها، ولكن الخلاف على اتخاذ هذا المسلك للنيل من كل مكسب ومن التعميم الظالم الذي يهدف إلى ترسيخ هذا الاعتقاد في ذهن المواطن وزرع ثقافة الشك والريبة تجاه كل فعل وقول صادر عن الدولة.

إذا كانت النتائج قد أفرزت هذا النوع من المسؤولين الذين لم يكونوا عند مستوى المسؤولية فإنها أيضاً قد أفرزت رجالاً مخلصين تسلحوا بكل أدوات المسؤولية والشواهد على أرض الواقع أكدت اقتدارهم على تنمية المرافق التي تحملوا مسؤوليتها وتزخر بلادنا بالعديد منها والذين يستحقون أن نقدم لهم وسام الاحترام والتقدير فقد أكسبوا المرافق التي تولوها أهمية وحيوية ينظر المواطن إليها بعين التقدير ويطمئن إلى أدائها ويلمس أثرها الإيجابي، وفشل البعض والقلة من الذين لم يكونوا أهلاً للمسؤولية ولن يلغي تلك النجاحات المشهودة.

● إذاً لسنا بصدد الدفاع عن زبانية الفساد ولا عن من أثبتوا عدم أهليتهم ولا عن الذين أخلوا بأمانة الواجب، فجميعنا يداً واحدة متصدية للفساد ومواجهة لأعراضه وذيوله في أجهزة الدولة والمجتمع، ولكننا نرفض التعميم الظالم والكتابات التي تتحول إلى سكين لذبح الوطن وتؤثر سلباً على مجريات حياتنا العامة، وتعمد إلى تضليل المواطن وتهدم في نظره كل منجز وطني وتفقده الثقة بقدرة أبناء وطنه وكفاءتهم ونزاهتهم.

فالكتابة عندما لاتكون سعياً يوصل إلى الحقيقة تتحول إلى أداة من أدوات القتل لكل أمل في نفس المواطن، حيث تصبح لغة التجريح والاستخفاف بكل مكسب تحقق من أجله وكل تضحية قدمت حناناً به هي الثقافة السائدة لديه.

● إذاً صحافة الضجيج قد تولد أنماطاً سلوكية ضارة ومنها زعزعة قناعة المواطن في الوقوف إلى جانب قيادته وعدم ثقته بحسن اختيارها لأفضل الرجال كفاءة ووطنية ونزاهة فنحن نساهم في خلق إنسان سلبي لايدعم حق ولا يزهق باطل، لايطمئن لأحد بما في ذلك قيادته التي قد لاتدخر جهداً من أجله، فهي موضع شك وإن اتبعت أنسب المسالك وأضمن الوسائل لتحقيق مافيه خير وسعادة المواطن..

● لماذا تتحرج بعض الأقلام من الإشادة لكل ماقد يكون مفيداً للوطن والمواطن وبنفس القدر من الحماس الذي تبديه للزيف والتضليل. وما أكثر إعراضها المتعمد لأفعال وأقوال وإجراءات أقدمت عليها القيادة والحكومة واستقطبت اهتمام وسائل الإعلام العربية والأجنبية لما لها من دلالات وتأثيرات اجتماعية و سياسية واقتصادية إيجابية على الوطن منها مايلمس المواطن مردوداتها وأخرى على شكل إجراءات مأمولة، تتجاهلها صحافتنا لأنها تبين جهود من لا نحب إبراز جهودهم، وكم أهدرنا من الفرص نتيجة هذه الثقافة التي أعمت بصيرة الكثيرين من الذين نسوا أن الوقوف إلى جانب القيادة التي أكدت ميلها الشديد إلى سياسة البناء والإصلاح هو وقوف إلى جانب الوطن.

● لا معنى للضجيج الذي يُغيّب الحقائق ويُبعدنا عن مواجهة الخطأ بدءاً من تصحيح الخطأ في ذاتنا بشجاعة وإرادة، إذا كنا ننشد النجاح لبلادنا ومجتمعنا مع مايتطلبه ذلك من حسن اختيار للوسائل وحسن الاختيار سيبقى ذو قيمة إذا كان الهدف حشد الناس إلى الأمام.

العرب وعقلية هرقليز!!

حسين جمال البكري

● الفلوس موجودة منذ آلاف السنين. وسيلة لتسهيل عمليات البيع والشراء في أسواق بدائية لبيع التوابل والملح والبخور وأسواق تبيع الدواجن والماشية والحمير و(العبيد) أي تجارة الرقيق! أما أسواق اليوم نحن نعرفها ونعرف مافيها من (تكنولوجيا) مثيرة وعجيبة أقمار صناعية .. سيارات .. طائرات ... و... و... أي أن إنسان اليوم يشهد نعيماً عظيماً.

وأبسط الأمثلة إنسان أيام زمان لايعرف (ساعة اليد) ليستدل بها على الوقت واليوم والسنة والمنبه.

● ورغم أن غالبية بلاد العرب تعتبر بلاداً غنية بالبترول والثروات الأخرى المهمة إلا أن عدد الفقراء فيها يتزايد .. حدث ذلك بعد أن تحولت الفلوس من وسيلة خير إلى وسائل شر وحسد وبسببها انتشر الفساد والمفسدين والحرامية وبجبروتها أيضاً ازداد الذئب شارون قوة وظلماً وعدوانية.

بينما نحن نملكها بكثرة إلا أننا ونتيجة مباشرة لخلافاتنا ولسوء تصرفاتنا مع أنفسنا أصبحنا فريسة سهلة للجرنالات الهرقليز الجدد.

● إن عالمنا العربي الإسلامي لاشيء ينقصه حتى يكون في مقدمة الدول العظمى وحتى يكون شبعاناً ومرتاحاً وحراً.

وما يحدث لبلاد العرب هذه الأيام ماكان ليحدث بيد أمريكا ولا بيد دولة كانت من كانت .. إن العرب أنفسهم هم السبب فيما هم عليه اليوم .. فقبل أن نسب ونلعن أمريكا وغيرها علينا أن نكتشف أسباب هذا الضعف والتخلف والخنوع الذي فينا. نعم نحن مهددون ومستهدفون فالأخطار ماعادت بعيدة عنا فأعاصير الأعادي تجرأت علينا بعد أن قامت بعملية غسيل لعقولنا وصدقناهم: بأننا لسنا بشراً مثلهم وأنهم وحدهم السوبر الهرقليز القادرون على كل شيء.

وبالمناسبة ألم يحن الوقت ليعمل الهرقليز الجديد بتعاليم نبيه المسيح، عليه السلام، في نشر روح المحبة والتسامح والسلام بين سكان الأرض دون تعصب للون أو جنسية أو دين .. وبدون دبابات ولا استعراض عضلات حتى يسود السلام العادل كوكبنا الملوث التعيس، ومتى يفوز إنسان اليوم بالعدل الديمقراطي والسلام العادل .. نعم فنحن البشر قد تعبنا من حياة يحكمها الظلم وتقاليد البلطجة..!

لماذا تصبح قيادة السيارة في العاصمة مغامرة ؟؟

عبدالله الشهاري

● مرور السيارات في هذا الواقع المحير لاتختلف عن سيول الأمطار التي تدور دون منفذ إلى مجرى كالسايلة يصرفها إلى شمال العاصمة، والغريب أن التواكل بين منفذي مشروع المجاري وإدارة المرور يبرز كمعضلة مرورية، فلا المرور يضع لافتات قبل توجه السيارات إلى الشوارع المقفلة بسبب الحفريات، ولا منفذي هذا المشروع يعطون أبسط اهتمام بذلك، فإذا بذوي السيارات يسيرون بدون هدي تنبيهي كمن يخيط الثوب بإبرة دون خيط، فلو تكرم منفذو مشروع المجاري وإدارة المرور ونسقوا فيما بينهم لتنبيه ذوي السيارات إلى انسداد الشارع في نهايته قبل دخوله لأحسنوا صنعاً، إذ من الاحباط أن تتزاحم السيارات في نهاية الشارع المغلق فلا تجد مجالاً للتراجع للخلاص من هذا المأزق المنحي بمسؤولية الإحباط على المقاول والمرور معاً، دون استنكار أو مستنكر، وهذه عاهة كان متوقعاً الاصطدام بها منذ جرى سفلتة الشوارع قبل تأمين المجاري كمن يعد المربط قبل شراء الفرس، أو من يقفز إلى النهايات قبل التمهيد لها بإحسان البدايات، فما أقيم منزل دون مرحاض، وهذا العيب الذي تم اقترافه في غياب الرشد المتنبئ بالنهايات بناء على البدايات الارتجالية غير الواضعة في الحسبان أي نتائج كالتي نرى، لذا نهيب بالأخ أمين العاصمة أن يفرض على المقاول والمرور التنسيق المفروض درءاً للاحباطات المرورية.

وأخال العميد/ عبدالله شبيل -مدير عام المرور جاهزاً لأي تعاون في هذا المضمار كما عهدناه منذ بدايات عهده المروري في شرخ شباب تخصصه كأقدم رجل مروري، ولئن وجدت بعض المآخذ الطفيفة على فريقه في العاصمة، فسوف يتم تناولها ولو في ظل الحفريات المتسببة في إحباطات مرورية تضجر النفس والمشاعر، حسب حالة الطقس الترميمي، وإصلاح مااقتلعته نزعة الارتجال في الماضي وكأن المجاري ستصلح نفسها بنفسها، والمهم أولاً هو السفلتة غير الواضعة انسياب سيول الأمطار نحو شمال العاصمة في الحسبان، مما يجعل سيول الأمطار عبر الشوارع تشكل في المنخفضات بحيرات كتلك التي لم تجف جوار البنك الزراعي -أو جولة سبأ كما يقال-، ولو جرى استشارة مزارع خبير في تصريف سيول الأمطار لدى سفلتة هذه الشوارع لكان مصبها في الاتجاه السليم، بدلاً من احتقانها لتشكل مستنقعات آسنة تهدد المارة الذين لايجيدون السباحة كما أسلفنا في حديث سابق، ولجولة المجاري الراهن حفرها نتائجها عندما تخضع للاختبار لدى هطول الأمطار، ماحية آثار الاحتقان المائي عقب الأمطار هنا وهناك، وأرى الأخ أمين العاصمة شديد التحري على أن لايتعرض للنقد، وذلك من خلال متابعته المتواصلة، إنما يتحتم على المقاول استقطاب آلاف العمال لإنجازها ماأوكل إليه بغرض الاسراع تفادياً للزحام المروري، سيما وأن عدد السيارات في العاصمة إضافة إلى القادم إليها كل صباح يمثل ربما ربع عدد السيارات في الجمهورية أو أكثر تقديراً، فإذا استمر العدد في التصاعد سيضطر كل ذي سيارة عند مغادرة منزله صباحاً لاصطحاب طعام الغداء والقهوة إذ لايحتمل أن يعود أو أن هذه الوجبة إلى منزله مالم يلجأ إلى المشي الاسرع من استخدام السيارة في ظل إحباطات مرورية لامفر منها، بينما نرى منذ الآن رجال المرور يتبرمون من زحام السيارات المتجاوز عددها طاقة الشوارع القائمة في حين لايمكن توسيعها أو تفادي ازدحامها مرورياً، والغريب أن العاصمة تمتد شمالاً وجنوباً مختارة سفح صنعاء فقط في امتدادها.

شارون يتحدى المجتمع الدولي

محمد الزبيدي

● أعلنت الحكومة العبرية عزمها على المضي في بناء جدار الفصل العنصري بعد العملية المزدوجة التي نُفذت في مدينة بير السبع، ولقد كان يفترض على الحكومة العبرية أن تعكس المعادلة فتدرك أن هذا الجدار لم يمنع العمل الفدائي الفلسطيني من النفاذ إلى مايسمونه داخل الخط الأخضر وأن الجدار لن يحقق الأمن للصهاينة ولا القوة والقمع والمداهمات والاغتيالات والاعتقالات ونسف المنازل وأن الأمن لن يتحقق إلا في حالة واحدة .. هذه الحالة تتمثل في إنهاء الاحتلال والتسليم بحق الشعب الفلسطيني في الحرية والاستقلال وإقامة دولته المستقلة على أرضه وعاصمتها القدس ولقد كان على حكومة الليكود العنصرية أن تستغل الفترة الزمنية التي فصلت بين آخر عملية فدائية وبين عملية بئر السبع المزدوجة تساوي ستة شهور كان على حكومة الليكود أن تستغل هذه الفترة في البحث عن السلام والعمل على تنفيذ خريطة الطريق بدلاً من استغلالها في الاغتيالات ونسف المنازل وقتل النساء والأطفال والمسنين ودون أن تفكر أن لكل فعل رد فعل مساوٍ في القوة ومعاكس في الاتجاه. أم تريد من المعتدى عليهم أن يقفوا مكتوفي الأيدي؟! وهذا مع افتراض أنه لايوجد احتلال. فكيف إذا كان المعتدي محتلاً!!

وإذا كان شارون قد أضاف إلى ردود الفعل المضي في بناء الجدار العنصري فإنه لن يبعد عن الحقيقة التي أكدها الله بقوله تعالى: «لايقاتلونكم جميعاً إلا في قرى محصنة أو من وراء جُدر بأسهم بينهم شديد» .. وبقية الآية تصفهم بانعدام العقل، وهاهي الوقائع تؤكد هذه الحقيقة ،فالاستشهاديون الذين يقومون بالعمليات قد أسلموا أرواحهم إلى الله، ومع ذلك نرى الحكومة العبرية تنتقم من أهليهم وذويهم ومن غيرهم وهذا هو خلاف الدساتير السماوية والوضعية، وهذه الدساتير تؤكد أن العقوبات شخصية، لكن الدولة العبرية -كما يقال- ليس لها دستور، ومع ذلك فهي تزعم أنها واحة للديمقراطية ونقطة حضارية وأي ديموقراطية وأية حضارة تلك التي تمارس كل الأساليب الوحشية والتي تقتل الأطفال وتغتال الشيوخ، أية حضارة تلك التي تغتال شيخاً عالماً فاضلاً مقعداً كالشيخ أحمد ياسين الذي لايمكن للنازية والفاشية والبرابرة أن يفكروا باغتياله مهما كانت الذرائع والمبررات.

وهنا تكمن ردود الفعل والبادئ أظلم لأنه إذا كانت إسرائيل تنتقم من الأموات في ذويهم وتعاقب جماعياً فهي لاتَعقل، علماً بأن العاقل يدرك أن من قام بالعملية قد فوّت على خصمه حق العقاب لأنه خرج من دنيا الأحقاد والعقوبات.

وإذا كان شارون يريد بنسف البيوت واعتقال بقية أفراد الأسرة والجيران وجيران الجيران فمن المعاقَب؟ لاشك أن الذين ينالون العقاب لايستحقونه لأنهم لم يرتكبوا جرماً، وبهذا الصدد لابد وأن نتساءل ماهي الحكمة من مثل هذا السلوك الهمجي؟ وإذا كانوا يعتقدون أن الحكمة ردع الآخرين فإنهم أغبياء لأن الآخرين يرون أن معاقبة الأبرياء يحتم عليهم الاندفاع ولو حتى من باب النهي عن المنكر وأي منكر أشد وأنكى من ممارسات محتل هو أساساً مكروه بالاحتلال ولا يرعوي من ممارسات القمع والاحتلال والإبادة ومحاولة اقتلاع أصحاب الأرض من أرضهم ومحاولات إلقائهم خارجها- ان المنطق يجافي كل ماتقوم به إسرائيل من سرقة مقومات الوجود باختلاس حياة المواطنين الفلسطينيين وتحت سمع العالم وبصره وذلك على الرغم من أنه يحاكم الآخرين على جرائم الحرب والجرائم ضد الانسانية وينتهك كل المواثيق والقوانين والمعاهدات الدولية فلماذا يتغاضى هنا وعلى أية حال فإن ارئيل شارون -وقد أمر بالمضي في بناء الجدار العنصري بعد عملية بئر السبع المزدوجة كواحد من ردود الفعل، فإن هذا الأمر لايعد تحدياً للشعب الفلسطيني وسلطته وإنما يعد تحدياً للمجتمع الدولي الذي قرر بعد قرار محكمة العدل الدولية بطلان حق بناء جدار الفصل العنصري.

والسؤال الذي يفرض نفسه على السياق هو: ماسيكون رد الفعل لدى الدول التي صوتت على قرار الجمعية العامة للأمم المتحدة؟

ولاشك أن المجتمع الدولي لايمكن أن يصدر منه رد الفعل مبادرة مالم تكن هناك مطالبات وضغوط من أصحاب الحق الشرعيين ومن أمتهم العربية، وقد ذكرت الأنباء الواردة من أروقة المنظمة الدولية أن المجموعة العربية على وشك القيام بمطالبة الأمم المتحدة بالعمل على تنفيذ قرار الجمعية العامة ومحكمة العدل الدولية وهو يعني بداية رد الفعل على قرار شارون.